أدوات التهيئة العمرانية في الجزائر
بين الواقع وتحديات التنمية المستدامة

الأستاذ ساسي محمد
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مقدمـــة:

إن تعاظم الاهتمام من قبل المجتمعات والهيئات الدولية في الفترة الأخيرة بالتنمية المستدامة ، وتعدد الدراسات حول تفعيل دورها ، وتنوع البرامج والمخططات لإدراجها في المشاريع التنموية، يطرح لدينا تساؤلات كثيرة ومتشعبة، حول آفاقها ومدى قدرة الدولة على مواجهة تحدياتها.

هذه التحديات الحديثة التي لم تعهدها الجزائر من قبل ، دفعت بها إلى محاولة إدماج التنمية المستدامة ضمن أدوات التهيئة العمرانية ، ثم تزويدها بآليات قانونية ومالية، وهيئات تنظيمية متعددة.

وبناءا عليه أصبح تجسيد التنمية المستدامة على أرض الواقع وموجهة تحدياتها في الجزائر، مرهونا بأداء وكفاءة أدوات التهيئة العمرانية، باعتبارها أهم وسيلة قانونية وتقنية تملكها الدولة للتحكم في مجالها العمراني، وتوجيهه حسب اختياراتها الإستراتيجية الكبرى ، وذلك بهدف تحقيق التوزيع المتوازن والمستدام للتنمية، عبر كامل مدن التراب الوطني.

1-التهيئة العمرانية :مفهومها، خصائصها، وتطورها في الجزائر:

1-1 مفهوم وخصائص التهيئة العمرانية

إن مصطلح التهيئة Aménagement يعني عدة م فاهيم منها: هيأ ، أصلح ، أعد ، لأجل تحقيق هدف محدد ، كما تعني كلمة التهيئة من الناحية الوظيفية، مفهوم التحسين، أو الزيادة في القيمة، أو المحافظة، أو التطوير[1].

ومن ثم، فإن مصطلح التهيئة العمرانية قد تشعب إلى مفاهيم عديدة نخص بالذكر منها ما يلي:

- **التهيئة العمرانية، هي تنظيم للمدينة، في إطار وحدة إقليمية، مهما كانت مساحتها ، بحيث يتم تنميتها ، وزيادة قيمتها، ع ن طريق إقامة التجهيزات الملائمة لها، والاستخدام العقلاني للأرض وللموارد الطبيعية، وهذا لتلبية المتطلبات العامة لسكانها[2].**

- **التهيئة العمرانية، هي تحديد لصورة مدينة ما، وأبعاده في المستقبل3.**

وعليه فإنه يمكننا القول بأن مفهوم التهيئة العمرانية ، مفهوم مركب يشمل أبعادا متعددة، لكن العامل المشترك بين أغلبية التعاريف ، يجمع على أن عمل التهيئة العمرانية يبرز في المساهمة، في حل المعادلة الصعبة، بين كل من المستلزمات الطبيعية، والمحددات العمرانية، وبين حاجيات السكان ، وذلك بهدف إحداث التوازن والتكامل ، والتنسيق بين المدن وأقاليمها المختلفة من جهة ، والعيش ضمن مدينة حيوية ومنسجمة من جهة أخرى. وبالتالي فإن التهيئة العمرانية ، تستخدم عدة وسائل لتحقيق هذه الغاية ، نذكر من أهمها الأدوات الخاصة بالتهيئة العمرانية ، والتي يتم بواسطتها تحديد المحاور الكبرى ، التي يجب إتباعها، خلال فترة زمنية طويلة، قد تمتد إلى 25 سنة القادمة ، سواء كان ذلك على المستوى المحلي، أو الجهوي، أو الوطني.

بناءا على ما سبق ذكره، ومن خلال تتبعنا لأهم التطورات الحاصلة في ميدان التهيئة ، فإننا نستخلص بأن أدوات التهيئة العمرانية ، تتميز بخاصية التدخل للسيطرة على المجال العمراني، ضمن أسلوب إستراتيجي ذي بعد مستقبلي ومحدد زمنيا ، وهذا ما جعلها متعددة الاختصاصات ، ومن الدراسات التي تتأثر بالتطور الدائم والسريع الذي تعرفه التكنولوجيات الحديثة ، ويتكامل فيها الجانب النظري الأكاديمي، مع المجال التطبيقي لرجال الميدان ، كما نستنتج أيضا ، أنها تمتاز بمركزية وضع المناهج، و محلية التنفيذ والقرار ، ليصبح بهذا المخطط أو المهيئ العمراني، الشريك الضروري للسلطات العامة في تنظيم المدن ومجالاتها ، هذا علاوة على ضرورة مساهمة المواطن في إعداد وتنفيذ أدوات التهيئة ، ليتحول بفضلها من دور المتفرج والمتلقي إلى دور المساهم والشريك.

1- 2 تطـور التهيئة العمرانية في الجزائر: ::

من خلال تتبعنا للتجربة التنموية في الجزائر حاولنا استنتاج الكيفية التي تم بواسطتها تسيير المجال العمراني فوجدنا أنها تنقسم إلى ثلاثة مراحل:

* **المرحلة الأولى (1962 – 1979)، وفيها تم الاعتماد على النهج الاشتراكي ، فأصبحت التهيئة آنذاك ، تندرج كقطاع ضمن مفهوم التخطيط الشامل للاقتصاد، مما أثر على إدراك المفهومين (التهيئة ، والتخطيط) والخلط بينهما في كثير من الأحيان، ومن ثم عدم احترام أسس التهيئة العمرانية أثناء عملية القيام بالتنمية داخل المجال العمراني.**

* **المرحلة الثاني ة (1980–2000) شهدت توفر الإرادة السياسية في تهيئة المجال بإنشاء أدوات التهيئة، غير أن الأزمة الاقتصادية حالت دون تنفيذها أو تحقيق أهدافها ، خاصة المخطط الولائي للتهيئة، والمخططات التوجيهية لسنة 1990، كالمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، ومخطط شغل الأرض[4].**

*** أما المرحلة الأخيرة (2001 حتى وقتنا الراهن)، حيث دفعت التحديات الحديثة بالجزائر إلى إعادة تموضع أبعادها الإستراتيجية ، بإدماج التنمية المستدامة [5] ضمن أدوات التهيئة العمرانية والبحث عن إجراءات تجسيدها على أرض الواقع.**

2- الأدوات المختلفة للتهيئة العمرانية في الجزائر:

2-1 أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس الكبرى (الوطنية):

تعرف أداة التهيئة العمرانية عموما ، بأنه ا وسيلة الدولة القانونية والتقنية، التي يتم على إثرها بلورة أعمال التهيئة، وتوجهاتها الإستراتيجية، وبيان إجراءات تنفيذها ، وهذ ا من أجل تحقيق أهداف مجالية معينة ضمن منطقة جغرافية محددة، قد تكون على المستوى الوطني أوالجهوي، أو المحلي[6]. لذا فلقد اعتمدنا في منهجية الدراسة الخاصة بأدوات التهيئة العمرانية، بتقسيمها حسب مقاييس الامتداد المجالي في خريطة الوطن ، والتي تضم نوعين أساسيين من المقاييس الكبرى، بحيث يشمل كل منها جميع أقاليم ومدن الجزائر: يتمثل الأول في المخطط الوطني للتهيئة العمرانية، وأما الثاني فيخص المخططات التوجيهية للبنى التحتية الكبرى والخدمات الجماعية ذات المنفعة الوطنية.كما يبينه المخطط رقم (01) و(02) علي التوالي:

المخطط رقم: 01 مخطط أدوات التهيئة العمرانية في الجزائر

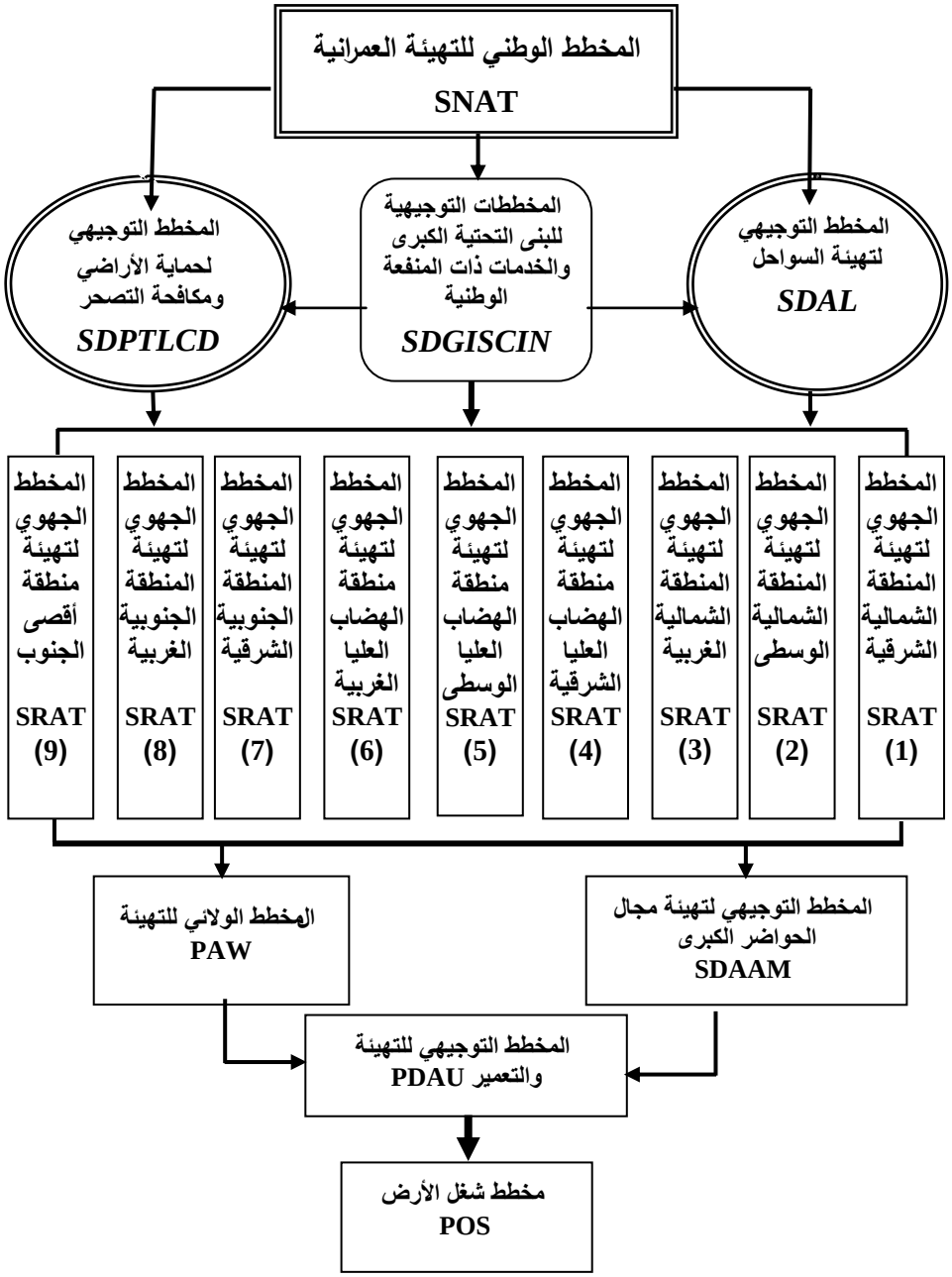

المصدر: من إنجاز الباحث اعتمادا على القانون رقم 01-20 المتعلق بتهيئة الإقليم والتنمية المستدامة

المخطط رقم: 02 أنواع المخططات التوجيهية للبنى التحتية الكبرى والخدمات الجماعية ذات المنفعة الوطنية في الجزائر

م.ت : مخطط توجيهي

المصدر:
من إنجاز الباحث اعتمادا على القانون رقم 01-20 المتعلق بتنمية الإقليم وتنميته المستدامة، السابق الذكر

2- 2 أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس المتوسطة (الجهوية):

تنقسم أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس المتوسطة، إلى ثلاثة أنواع رئيسية أولها المخططات الجهوية للتهيئة العمرانية، وثانيها المخطط التوجيهي لتهيئة السواحل، وثالثها المخطط التوجيهي لحماية الأراضي ومكافحة التصحر(أنظر المخطط رقم01)

2-3- أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس الصغرى (المحلية):

لقد اتبعنا منهجية في الدراسة ، يتم على إثرها تقسيم أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس الصغرى إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي:المخطط الولائي للتهيئة، والمخطط التوجيهي لتهيئة مجالات الحواضر الكبرى، علاوة على أدوات التهيئة العمرانية المتمثلة أساسا في المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الأرض.

تتبع هذه الأدوات عموما منهجية موحدة، حسب مقاييسها ومستوياتها ، الوطنية والجهوية والمحلية ، حيث تحاول جميعها الإجابة ، على ثلاثة أسئلة رئيسية هي: ما هو الموجود في المدينة أ و إقليمها ؟ ما هو المفقود ؟ وما هو المنشود ؟ بدءا بتشخيصها العام للأوضاع القائة ، الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، بغرض إظهار الإمكانيات والمعوقات ، لتقدير وقياس حجم التدخلات التي تتلاءم مع منطقة الدراسة الخاصة بكل مخطط ، ثم وضع التوقعات المستقبلية للمجال العمراني ، وتقديم خطة تحليلية للمشروع الخاص بالتهيئة العمرانية وضوابط تنفيذها، مرفقة بالمخططات والبيانات التوضيحية.

من خلال كل ذلك ، نستنتج وجود إشكالية تتمثل في غياب العلاقة التكاملية التي تربط بين الأدوات ، ووجود تداخل في المهام المنوطة بكل منها ، مما يؤدي في الأخير، إلى وجود العديد من الثغرات والغموض والتكرار والتعارض

في أخذ القرارات الخاصة بالتهيئة العمرانية لمنطقة أو مدينة واحدة، خاصة عندما تتم دراستها بواسطة مخططات متعددة في نفس الوقت.

3- الواقع العام الذي تواجهه أدوات التهيئة العمرانية في الجزائر :

إن غرضنا من دراسة الواقع العام للجزائر ، ينحصر في إبراز المؤهلات التي تواجهه أدوات التهيئة العمرانية لتدعيمها و استغلالها ، وبيان العوائق من أجل تذليلها أو الحد من آثارها ، ثم التمكن من التحديد الدقيق للفجوة القائمة ، بين الوضع العمراني الحالي ، والوضع المنشود أو المستهدف من طرف أدوات التهيئة العمرانية ، حتى نتمكن من تقييم هذه لأدوات تقييم ا جيدا. وتتشكل محصلة الواقع العام في الجزائر كمايلي:

*** إن أدوات التهيئة العمرانية ، تواجهه تفاقما في الإشكاليات البيئية ، كاستنزاف الموارد الطبيعية لاسيما المياه والتربة ، و النبات ، وسوء توزيعها عبر التراب الوطني.**

*** انتشارا ظاهرة التباين وعدم التجانس الطبيعي، وسيادة الطابع الصحراوي ، مما يؤدي بالضرورة إلى وجود أقاليم طبيعية متعددة، وأوساط بيئية متباينة.**

*** اعتبار المجال العمراني بالجزائر مجالا مهددا بالأخطار الطبيعية ، كالتصحر ، في الهضاب العليا، علاوة عن الفيضانات، والإنزلاقات الأرضية والزلازل التي تتركز بدورها في المناطق الأكثر كثافة بالسكان في الوطن مثل الحواضر الكبرى كما يبينه الجدول رقم 01 و02**

الجدول رقم: 01

توزيع أهم الزلازل عبر المدن الجزائرية

المدينة	السنة	شدة الزلازل (سلم ريشتر)
بومرداس	2003	06,8
عين تيموشنت	1999	05,5
معسكر	1994	05,6
تيبازة	1989	06,1
الشلف	1980-1954	07,3-06,7
جيجل	1856	07
البليدة	1825	07
وهران	1790	07
الجزائر	1716	07

المصدر:

MATE :module d'éducation à l'environnement, p68, Alger, 2004 [6]

جدول رقم: 02

توزيع المدن وعدد المباني الواقعة في مناطق الفيضانات في الجزائر

الولاية	عدد المباني	الولاية	عدد المباني
الشلف	2.248	عنابة	30 حي
الأغواط	3.083	قالمة	360
أم البواقي	1.999	قسنطينة	620
باتنة	16.261	المدية	3.075
بجاية	500	مستغانم	1.633
بسكرة	763	مسيلة	1.185
بويرة	1.438	وهران	06أحياء
تمنراست	1.159	بومرداس	561
تبسة	17.236	الطارف	2.370
تلمسان	357	تيسمسيلت	1.340
تيارت	13	الواد	766
الجزائر	14.545 + أحياء المرجة وبراقي	سوق أهراس	أغلبية البلديات
الجلفة	784	تيبازة	2.710
جيجل	47 + 05 مناطق خطيرة جدا	ميلة	1.663
سطيف	1261	عين الدفلى	7.772
سعيدة	976 + 09 أحياء	النعامة	4.929

سكيكدة	4.009	عين تيموشنت	14 منطقة في سرير الوادي
سيدي بلعباس	576 + 04 احياء	غيليزان	1.370
مجموع المباني	97.609	---	---
مجموع الأحياء	49	---	---
مجموع البلديات المعرضة للفياضانات	46	---	---

المصدر: MATE : aménager l'Algérie , p 29 [7]

* بالإضافة إلى ذلك وجود مؤشرات جديدة للتحول الديمغرافي ، قد تؤثر في أداء وكفاءة أدوات التهيئة ، مثل بداية توجه المجتمع الجزائري نحو الكهولة والشيخوخ ة إذ انتقلت فئة أكثر من 60 سنة ، من % 05,8 سنة 1998 إلى 07,72 % سنة 2005، وتراجع معدل النمو السنوي ، إلى 01,7 % للفترة(1999-2005) بعدما كان % 03,1 خلال (1987-1998).

الجدول رقم: 03

تطور بعض المؤشرات الديموغرافية وتوقعاتها في الجزائر

(1962-2025)

السنة / عدد السكان (نسمة)		الكثافة السكانية (نسمة / كلم2)	الفترة الزمنية / معدل النمو السنوي %	
1962	10.236.000	04,29	1966-1962	04,36
1966	12.142.000	05,10	1987-1966	03,10
1987	23.038.942	09,67	1998-1987	02,14
1998	29.100.867	12,21	2005-1998	01,70
2005	32.728.378	13,74	2025-2005	01,47
2025	43.856.027	18,41	---	---

المصدر: معالجة الباحث لمعطيات الديوان الوطني للإحصاء:

- مجموعة الإحصاء العام للسكن والسكان (1966- 1987- 1998)

-ONS: Données statistiques, démographie Algérienne, n°419, p01, 2004 [8]

الجدول رقم: 04

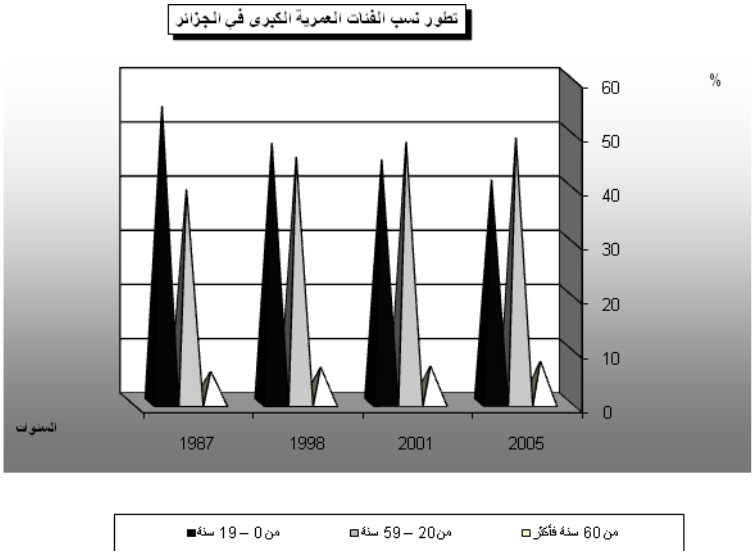

*** انتشار ظاهرة المدن والأحياء الفقيرة، ونمو المجالات الحضرية على حساب المجالات الريفية.**

*** من الإشكاليات التي تواجهها أدوات التهيئة العمرانية على المستوى الجهوي ، وجود أقاليم هشة أو حساسة بيئيا ، تتمثل في كل من: منطقة المدن الساحلية، والمدن الجبلية، ومنطقة المدن السهبية، والمدن الصحراوية.**

4- تحديات التنمية المستدامة ضمن أدوات التهيئة العمرانية في الجزائر:

إن مفهوم التنمية المستدامة مفهوما حديث يخضع للتطور المستمر، لذا يصعب تحديده بشكل شامل ودقيق، وعليه فقد ارتأينا التركيز على المفهوم الذي تم الاتفاق عليه دوليا، من خلال المؤتمرات العالمية للبيئة والتنمية ، حيث قدمت

لنا مفهوما متكاملا يتسع لجميع التخصصات ويضم جميع ميادين الحياة إذ عرفتها " بالتنمية التي تلبي احتياجات الوقت الحاضر من دون الإخلال باحتياجات أجيال المستقبل " لذا فإن إدماج هذا المفهوم ضمن أدوات التهيئة العمرانية في الجزائر تواجهه عدة تحديات نذكر من أهمها مايلي:

* التحدي الخاص بالتوازن العمراني ، بالتركيز ضمن أدوات التهيئة ، على منطقتي الهضاب العليا والجنوب، بهدف تحقيق التوزيع العادل لنتائج التنمية المستدامة عبر كامل التراب الوطني، والتخفيف من ظاهرة التمركز الساحلي للمدن.إذ يتوقف ذلك على إعادة تشكيل الإقليم التلي، وهيكلة تركيبه العمراني، وكذا تنمية الموارد المحلية بالهضاب العليا والجنوب ، لاسيما توفير المياه ومناصب الشغل.

* التحدي المتعلق بتحقيق التكامل العمراني عن طريق تدعيم شبكة النقل ، وإدماج التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال ، ضمن مخططات التهيئة العمرانية ، خاصة المخططات التوجيهية للبنى التحتية الكبرى والخدمات الجماعية ذات المنفعة الوطنية.

* التحدي الخاص بالتحكم في المجال العمراني لاسيما تنظيم الشبكة العمرانية والمجال الريفي ، بواسطة تفعيل المخططات التوجيهية لمجالات الحواضر الكبرى، وتدعيم الأقطاب الجهوية والمحلية القائمة ، وإنشاء المدن الجديدة بالمناطق الداخلية والتخفيف من العلاقة التنافسية بين المجال الحضري والريفي.

* التحدي الرئيسي المتمثل في دمج الأبعاد البيئية ، في التهيئة العمرانية حيث تبنت الجزائر عدة مبادئ رئيسية ، لتحقيق التوازن بين البيئة والعمران ، بالتركيز على دراسات مدى التأثير على البيئة ، علاوة على تنمية الطاقات

المتجددة، وإنشاء التكنولوجيات النظيفة والتكوين البيئي.حيث يتطلب أن تكون جميعها، ضمن ضوابط مخططات التهيئة العمرانية، لتصبح بذلك أدوات للحفاظ على البيئة والتنظيم العمراني.

*** وأخيرا التحديات الميدانية ، المتمثلة في سائل إنجاز وتنفيذ ومراقبة أدوات التهيئة العمرانية ، والتي من أهمها تحديات الإدارة العمرانية ، وآليات دعم الجوانب المؤسساتية والقانونية والمالية، لأدوات التهيئة العمرانية.**

الخاتمـــة:

كيف يمكن لأدوات أدوات التهيئة العمرانية في الجزائر بواقعها الحالي ، أن تتماشى مع تحديات التنمية المستدامة ؟ انطلاقا من هذه الإشكالية ، تبين لنا من خلال هذه المداخلة، أن الواقع العام للتخطيط العمراني في الجزائر، قد شهدت عدة تحولات متسارعة عبر مراحل مختلفة، اتسمت بالإختلالات الجهوية والفروق المحلية بين المدن من جهة، وكثافة الإشكاليات البيئية والعمرانية بداخل المدينة الواحدة من جهة أخرى، علاوة على غياب العلاقة التكاملية بين الريف والمدينة ، ومن ثم انهيار المستوى والإطار المعيشي للسكان والمكان معا.

لمواجهة هذه التحديات شرعت الجزائر بإعادة تموضع أبعادها الإستراتيجية، بهدف إحداث تنمية متوازنة ومستديمة في المدن ، ثم البحث عن آليات تجسيدها على أرض الواقع، وذلك عن طريق استحداث عدة أدوات للتهيئة العمرانية أوما يسمى بالتخطيط العمراني وعلى جميع المستويات (الوطنية ، والجهوية ، والمحلية) وهذا ضمن إستراتيجية متكاملة يتم فيها الربط في بين التهيئة العمرانية بين الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية والبيئية للمجال الجزائري.

بالرغم من كل ذلك ، نستنتج غياب العلاقة التكاملية التي تربط بين الأدوات، ووجود تداخل في المهام المنوطة بكل منها، مما يؤدي في الأخير ، إلى وجود العديد من الثغرات والغموض والتكرار والتعارض في أخذ القرارات الخاصة بالتهيئة العمرانية لمنطقة أو مدينة واحدة ، خاصة عندما تتم دراستها بواسطة مخططات متعددة في نفس الوقت.

المراجـــع:

1- Grand Larousse Encyclopédique, p330, vol.1, librairie Larousse, Paris, 2000

2 - SOUVERT J : dictionnaire économique et social, p25, E.O. Paris, 1987.

3- **MERLIN P., CHOAY F : Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, p55, P.U.F, Paris, 1988.**

4- رئاسة الجمهورية: الجريدة الرسمية ج ج د ش ، العدد 05، ص 149، القانون رقم 87-03 المؤرخ في27 جانفي 1987، المتعلق بالتهيئة العمرانية.

- رئاسة الحكومة: الجريدة الرسمية ج ج د ش، العدد 52، القانون رقم: 90-29 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990 المتعلق بالتهيئة العمرانية

5- رئاسة الحكومة: الجريدة الرسمية ج ج د ش، العدد 77، ص18، القانون رقم 01-20، المؤرخ في 12 ديسمبر سنة 2001، والمتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة.

6- MATE : module d'éducation à l'environnement, Alger.

7- M A T E : aménager l'Algérie de 2020, Alger, 2003.